

جدلية أبيي نواس وعلماء
القرن الخامس والسادس والسابع الهجري

ببحث للدكتور: محمد خليل الخلايلة

أستاذ الأدب القديم ونقد المساءد
الجامعة الهاشمية
الزرقاء - الأردن

ملخص

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن تساؤل كبير: "لماذا لم تنشأ حول أبي نواس معركة نقدية؟" فكانت الفرصة عظيمة للعودة إلى أمهات الكتب حيث استخرج الباحث كل ما قيل حول أبي نواس في كتب نقاد وبلاغي وأدباء القرن الخامس والسادس والسابع (400-700هـ) لتوضيح صورة أبي نواس في دراسات هؤلاء؟ وارتأت الدراسة أن تتشعب إلى:

أ - مهاده نظري: 1- الحياة الأدبية في تكوين أبي نواس .

2- الحركات التجديدية التي سبقت أبي نواس عباسيا

ب- الفصل الأول: أبو نواس في نظر علماء القرن الخامس والسادس والسابع الهجري .

1. صناعته

2. صورته

3. هيكل قصيدته

ج- الفصل الثاني: لماذا لم تنشأ معركة نقدية حول أبي نواس .

1. موقف أهل القديم

2. زندقته

3. خلائعته ومجاهرته بفسقه وخمره

4. شعوبيته .

د- الخاتمة

هـ. ملحق بأسماء العلماء الذين ذكروا خبرا عن أبي نواس مرتبين حسب أزمانهم

و. قائمة المصادر والمراجع

ز. الفهرس

Abstract

This study aims to answer the question : “why there was no emerge of a critical fight in respect of Abu Nuwas?” So, this came up with a great opportunity to return to the maternal books where the researcher found out all what was stated about Abu Nuwas in the books of the critics, rhetoric and literate men of the fifth, sixth, and seventh centuries (400-700 A.H.) to illustrate Abu Nuwas view in their studies. The study was divided into the following section :

- i- Introduction :1- the literary life in Abu Nuwas’s nature.
2-renovation organization that before AbuNuwas appassian
- b- Chapter One : Abu Nuwas in the view of fifth, sixth and seventh Hijri centuries scholars:
 - 1. His profession.
 - 2. His portrait.
 - 3. His poem structure.
- c- Chapter Two : why there was no emerge of a critical fight in respect of Abu Nuwas?
 - 1. Old critics stand.
 - 2. His sanctimony.
 - 3. His profligacy, dissipation and drinking wine in public.
 - 4. His popularity.
- d- Conclusion.
- e- appendix of the names of scholars who conveyed information about Abu Nuwas sorted according to their eras.
- f- List of references.
- g- List of contents.

مقدمة :-

أبو نواس شاعر القرن الثاني ظلّ في نظري شاعر الخمر، ولم يكد يتعداه حتى طرح السؤال التالي: "لماذا لم تُثر قضية أبي نواس كما أثّرت قضايا المتنبي وأبي تمام؟" فأبو نواس شاعر جاء بشعره على غير عهد سابق وخالف قالب القصيدة العربية التي سبقته وجاهر بهذه المخالفة وهاجم المقلدين، فلماذا لم يحظ بما حظي به كبار الشعراء في عصره؟ هل قصّر أبو نواس في لغته وصورته وأساليبه الشعرية؟ هل كان أبو نواس شاعراً مقصراً؟ هل حقاً تجاوزه علماء اللغة والنقد والبلاغة والشعر؟ وإن لم يتعده هؤلاء لماذا لم تثر حوله زوبعة نقدية مؤيدة كانت أم معارضة؟ أسئلة كثيرة تحاول دراستي هذه الإجابة عنها، فكانت مُنصبةً في المراجع القديمة حيث دراستها واستخراج ما أمكن من أقوال تساعد في تكوين صورة واضحة انطلق من خلالها وأجيب ما أمكن .

تناولت دراسات كثيرة أبا نواس قديماً وحديثاً، قديماً بدايةً من القرن الخامس الهجري ونهايةً بالقرن السابع، حيث لم يخل كتاب نقد أو بلاغة من ذكره مستشهداً أو معلقاً بأقوال علماء سابقين، وحديثاً حيث تناوله جملة من الأدباء بدايةً بكتب التاريخ الأدبي ومروراً بكتب العلماء التي تناولت أعلام الشعراء العباسيين ونهايةً بكتب تحدثت عن الحداثة في شعر الشعراء الأوائل وكان أشهر هذه الدراسات ما كتبه "العربي حسن في كتابه أبي نواس وقضية الحداثة في الشعر"¹ - الذي حاول جاهداً وسَم شعر أبي نواس بسمة الحداثة وأشار إلى آراء المحدثين فيه، ولن نتجاوز ما كتبه ابن منظور (711هـ) عن أبي نواس حيث استم د معظم الكاتبين عن أبي نواس من نبعه² .

و جاء رأي طه حسين³ في تجديد أبي نواس رابطاً المتغيرات السياسية بحتمية التجديد أما العقاد⁴ في دراسته لأمس تجديد أبي نواس و شخصيته ملامسة وفق البواعث النفسية رابطاً ذلك العبث و الانحراف واللهو برابط نفسي وتتعدد الدراسات⁵ التي حاورت ملامح التجديد عباسياً بشكل عام و نواسياً بشكل خاص مبرزة هذه الملامح في محاور أهمها، التجديد في الموضوع الشعري، والتجديد في الشكل الشعري، و تكاد تجمع هذه الدراسات بربادة أبي نواس للتجديد الشعري في العصر العباسي و إن كان هذا التجديد مرتبطاً بالكم مع إثارة لقضية مفادها ازدواجية الحكم على أبي نواس فنراه مقلداً تارة و مجدداً أخرى.

وكان لهذه الدراسة جُلٌّ فائدةٍ لي حيث الاتصال المباشر مع كتبٍ أمهاتٍ في اللغة والأدب والنقد والبلاغة، فقامت بدايةً بحصر لعلماء اللغة والأدب منذ 400هـ ونهايةً بـ 700هـ، واستخرجت كتبهم وبدأت بالبحث فيها وكتبت جميع ما قيل عن أبي نواس حيث قامت بتصنيفٍ لهذه المادة في مجالات كثيرة شملت النقد والاستشهاد والاستحسان والاستقباح. فرأيت بعدها أن تكون الدراسة كالتالي:-

أ. تمهيد: 1- أعطي فيه لمحة مختصرة عن الحياة الأدبية للشاعر. " أبو نواس شاعراً"

2- الحركات التجديدية التي سبقت أبي نواس عباسياً

ب. فصل أتحدث فيه عن القيمة الأدبية لأبي نواس فأذكر مجالات استشهاد هؤلاء بشعره.

ج. فصل أخير أتناول فيه ما قيل حوله معللاً عدم قيام معركة أدبية في شعره.

د. الخاتمة التي سأعرض فيها رأياً حول ما استخرجته وطرحته شاهداً .

هـ. قائمة تشمل أهم العلماء والأدباء جعلوا شعر أبي نواس شاهداً في أعمالهم الأدبية مرتبين

حسب تسلسل زمني.

و. قائمة المصادر والمراجع .

ز. فهرس البحث .

تمهيد : أولاً: الحياة الأدبية في تكوين أبي نواس *

تدخل أهمية الحياة الأدبية هذه في كشف مكونات أبي نواس الثقافية فلا يبقى لدى الدارس شكٌ في مكنونه الثقافي وغازرة علمه وأدبه وبذلك ننفي احتمالية الضعف التكويني للشاعر لتكون سبباً في تجنبه والعزوف عنه وعن نتاجه.

نشأ أبو نواس في عصر الخلافة العباسية الذهبي، عصر القوة والرخاء، حيث الثراء الذي ينصبُّ في حاضرة البلاد الأولى والبذخ الذي أصاب الشعراء منه الحظُّ الوافر والنصيب الكبير، والغنى الفكري الذي فجرته الحضارة الجديدة أمام نواظرهم، فكانت بغداد حاضرة العلم والحضارة، حاضرة اللهو والترف والمجون، جمعت علماء وأدباء شتى من كل أصقاع المعمورة وجمعت كذلك الحانات والملاهي والأغاني والمجون، وكانت بحق كما وصفها الشافعي ليونس بن عبد الأعلى بالدنيا: قال الشافعي: هل دخلت بغداد؟ قال: لا، قال: إذن ما رأيت الدنيا، فالذي لم يزر بغداد لا يعرف الدنيا الحققة في عبثيتها وتناقضاتها، ولم يكن أبو نواس بعيداً عن هذه الأجواء، فهل منها خير ما يمكن لوارد ماء أن يستزيد، غرف من علمها وعلمائها حتى ارتوى فكان عالماً، وعرج على حاناتها وغلمانها فكان ماجناً لاهياً، واستطاع أن يحمل لواء التجديد الحق،

* أبو نواس : شاعر عباسي العصر ولد سنة (145هـ) وتوفي سنة (199هـ)، ولد بالأهواز، انتقل وهو في الثانية من عمره إلى البصرة مع والده حيث قرأ القرآن على يعقوب

الحضرمي، مات والده وهو صغير فسلمته أمه إلى براء يبري عود البخور، كان نحيل الجسم، عظيم الرأس، حسن الوجه، أبيض البشرة، ألثغ الرء، هاجر إلى الكوفة ثم بغداد فأخذ من علمائها، تقرب من الخلفاء ومدحهم، رحل إلى مصر ومدح الخصب بن عبد الحميد أميرها على الخراج، كُتبي بأبي فراس ولا يكاد يذكر سبب فسقه إلا ويذكر معه والبة بن الحباب

أستاذ الحسن الأول ومعلمه شعراً وخمراً وفسقاً، عانى كثيراً من والدته وتصرفاتها، زهد في آخر حياته حتى توفي وله من العمر أربع وخمسون، وتجدد الإشارة إلى الخلاف حول ميلاد أبي نواس ومماته .

ثانيا: الحركات التجديدية التي سبقت أبي نواس عباسيا⁹⁻:

انتهت الدولة الأموية بعد التمرد العباسي الناجح عام 132 هـ و المبرشر بعهد جديد يفارق ما كان مألوفا في ظل الدولة الأموية، فامتزجت الحضارة العربية بالفارسية ، التي سرعت و قادت وأفرزت الدولة العباسية في بزوغها، فكانت هذه المتغيرات - أقصد بها انهدام أمة و ظهور أخرى- حافزا لانقلاب حياتي شامل وما يعني البحث هنا، ذاك التغير الذي لحق بالشعر خاصة و الأدب عامة.

يتميز الأدب باتصاله الوثيق مع المتغيرات الحضارية - وأقصد بالحضارية تلك المتغيرات التي تحيط بالأديب من عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية وفكرية - ونظرا لهذا الاتصال برز في العصر العباسي تياران أدبيان ضخمان، أحدهما حاول الالتصاق بالقديم وتقليده وعدم الخروج عليه.

و ثانيهما، مجدد، تمرد على القديم و تحرر من مغاليقه.

أما الأول، فما فارق القديم حتى كاد أن يكون هو، ووجد من النقاد في العهد العباسي الكثير الذين ينتصرون له ولا يرون الإبداع في غيره.

وجاء التيار الثاني مغايرا لهؤلاء فحاول أنصاره الخروج على شكل القصيدة القديمة، وبعثوا روح العصر في معانيه ومفرداته وأمام هذا الاتجاه انقسم النقاد، فهناك من اعجب به دون إبداء الاعجاب خوفا من غضب القدماء وهناك من صرح بنصرتة له. وهناك من رفضه ورفض قراءته. ومن مدارس التجديد التي سبقت أبي نواس عباسيا¹⁰ مدرسة مسلم بن الوليد المدرسة

التي تشكلت فيها دلالة مصطلح البديع إذ أحسن مسلم الاتصال بالموروث الثقافي، وتعايش معه بوعي كامل ثم انطلق إلى تفتيق المعاني مركزا على معالم الصنعة الشعرية، ليحول العملية الشعرية إلى فن وصنعة وجعلها مضمارا لمباراة الشعراء، وأصبح شعره جامعا للألوان البديعية المختلفة كالجناس والطباق ، الذي حول الشعر بالبديع إلى نمط من الزخرف والزينة.

ويبقى الطابع العام لبديع مسلم، أنه استجابة حقيقية لروح التراث وحسن التعامل معه، والحفاظ عليه مع بعث الحيوية والاستواء وحسن الصياغة ووضوح المعنى وروح العصر ليكون الشعر عنده بناء فنيا شائخا.

وتأتي المدرسة الثانية وحامل رايتها أبو تمام، التلميذ النجيب لمسلم الذي جعل من مدرسته امتدادا طبيعيا لمدرسة مسلم مع تعميق دور الرقي الحضاري وثقافة العصر في صناعة الشعر . ليكون الفن عنده قادرا على استيعاب التراث في فصاحة اللفظة والدقة في الاختيار وعرض جزئيات الصورة بدقة تكشف التداخل بين هذه الجزئيات.

أما المدرسة الثالثة فرفع رايتها عبد الله بن المعتز ذلك الناقد الذي وقف طويلا أمام البديع محاولا تحديد أنواعه حيث ألف كتابه البديع رابطا فيه بين القديم التراثي والجديد العباسي رافضا نسبته إلى المولدين فقط.

ومما يلاحظ هنا، عمق الصلة لرواد التجديد عباسيا بالتراث، وفي الوقت نفسه أحسنوا توظيف المعطيات الحضارية و كانوا مثالا رائعا في التفاعل والتكيف مع ثقافات العصر المختلفة.

لم يخالف أبو نواس هذه الملامح التجديدية فنراه حينما رائدا من رواده وحينما آخر تراثيا لا يغير زهيرا أو لييدا.

الفصل الأول :- أبو نواس في نظر علماء القرن

الخامس والسادس والسابع الهجري

أوصلنا التمهيد السابق عن -أبي نواس في تكوينه الثقافي- إلى مرحلة من الإقناع في مقدرته الأدبية واللغوية التي جعلته يتصدر مجالس العلماء ويشارك فيها ومن ذلك ما ورد في تمهيد تاريخ دمشق: " كان أبو نواس يجلس معنا في حلقة يونس فينتصف منا في النحو " (11) وشهد له العديد من علماء عصره بتقدمه وحسن تكوينه المعرفي، قال عمرو بن بحر الجاحظ: " ما رأيت رجلاً أعلم باللغة من أبي نواس، ولا أفصح لهجة " (12) وقال عنه النظم بعد إنشاده شعراً في الخمر لأبي نواس: "هذا الذي جُمع له الكلام فاختار أحسنه " (13) وقال أبو عبد الله الجماز في وصفه: " كان أظرف الناس منطقاً وأغزرهم أدباً، وأقدرهم على الكلام ... وكان فصيح اللسان، جيد البيان، عذب الألفاظ، حلو الشمائل، كثير النوادر، وأعلم الناس كيف تكلمت العرب، رواية للأشعار، علاقة بالأخبار " (14)

هكذا كَوّن أبو نواس شخصيته الشعرية، جمع ما يمكن جمعه من علوم عصره فكان عالماً شاعراً غزير اللغة، وأنا في هذا المقام أورد نظرة العلماء القدامى في شعر أبي نواس، فهل استشهد هؤلاء بشعره؟ وكيف علق النقاد على شاعريته وصوره؟ وهل تناسوا أشعاره؟

عند الحديث عن القرون التي سبقت الخامس الهجري، نرى تردداً لأخبار أبي نواس في جل كتب النقاد وأدباء هذه القرون، فالجاحظ وابن قتيبة والمرزوقي والمبرد وصاحب الأغاني الأصفهاني وابن طباطبا شواهد كبيرة ذكرته وأشارت إلى أبعاد كثيرة في حياة أبي نواس عامة وملاحه الشعرية خاصة، وكادت هذه الأبعاد أن تنحسر في الدين، والمجون والكذب الفني، والابتعاد عن معايير الجودة في الشعر القديم، ويذكر الباحث هنا رأياً لعالم في القرن الرابع الهجري أورد أخباراً عن أبي نواس فنرى هذا العالم " القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني " يعلق على فساد عقيدة أبي نواس اذ يقول: ووجد له في الإحالة مثل قوله:

و أخفت أهل الشرك حتى إنه لتخافك النطف التي لم تخلق

فلو كانت الديانة عارا على الشعر و كان سوء الاعتقاد سببا لتأخر الشاعر لوجب أن يمحي اسم أبي نواس عن الدواوين ويجذف ذكره إذا عدت الطبقات¹⁵.

فالقاضي الجرجاني يرى ضرورة عزل الدين عن الشعر و لو لم يكن الأمر كذلك لكان أبو نواس ممن يحون لفساد عقيدته.

ويرى القاضي الجرجاني معيباً للكذب الفني عند أبي نواس حيث استخدم - أبو نواس - الاستعارة و أغرق فيها

فأما ما جرى مجرى قول أبي نواس
وأخفت أهل الشرك حتى إنه لتخافك النطف التي لم تخلق
فهو من المحال الفاسد و له باب غير هذا، و كل هذا عند أهل العلم معيب مردود ومنفي
مرذول، و إن كان أهل الإعراب وأصحاب البديع من المحدثين قد لهجوا به واستحسنوه وتنافسوا
فيه و بارى بعضهم بعضاً به¹⁶

تناولت بحثاً أربعة وثلاثين علماً بلاغياً ولغوياً وأديباً فما كدت أجد أحد هؤلاء يجيئ أهل
أبا نواس في أشعاره على تفاوتٍ في الكمِّ؟ فنرى ابن رشيق القيرواني (463هـ) يذكره ثماني وثمانين
مرة مستشهداً ومعلقاً ومفضلاً ومستقبحاً ومقابل هذا نرى ابن الأثير (637هـ) في كتابه "الجامع
الكبير في صناعة المنظوم من الكلام المنثور" يذكره مرتين فقط ضمن شواهد في ذكر المبادئ
والافتتاحات، وهذا الاعتناء بأبي نواس تحدث عنه الجاحظ فقال: "وقال الشعر وكان يستشهد
بشعره" (17)

وسأعرض لشواهد القدماء بشعر أبي نواس في جوانب مختلفة منها :-
أ . كيف نظر القدماء لصناعته ؟ :-

لم يقدح علماء عصره ولا حقوه حتى (القرن 7هـ) بجودة صناعة أبي نواس للشعر حيث امتدحه العديد منهم، ومن ذلك ما قاله الجاحظ : "أنشدت أبا شعيب القلال أبيات أبي نواس :
ودار ندامى عطّلوها وأدلجوا
بها أثر منهم جديداً ودارساً
فقال : " هذا شعر لو نقرته طنّ، فوصفه عن طريق صناعته " (18)

ونرى في غير موضع تقديم أبي نواس على غيره بعبارات شاع استعمالها عند هؤلاء فنرى قولهم: أشعر الناس، وكلامه الأبرز ، ومن ذلك :قال الجاحظ: " لا أعرف من كلام الشعر أرفع من قول أبي نواس " (19) ويعدد ابن رشيقي محاسن أبي نواس في صناعة الشعر، حيث يقول : "وشبه قوم أبا نواس بالنابعة لما اجتمع له من الجزالة مع الرشاقة وحسن الديباجة والمعرفة بمدح الملوك " (20) وما يتصل بالصناعة الشعرية خروج أبي نواس بألفاظه وأمثاله كل مخرج وتفننه في ضروب البديع والبلاغة، حيث تنبه هؤلاء إلى إبداع أبي نواس في هذا المجال الشعري، ولعلّ ابن رشيقي القيرواني أبدع في جمعه وعرضه لآراء سابقيه فتحدث عن أبي نواس وأسهب حيث عرض لألفاظ أبي نواس في باب اللفظ والمعنى : " وللشعراء ألفاظ معروفة وأمثلة مألوفة لا ينبغي للشاعر أن يعيدها " إلا أن يريد شاعر أن يتطرف باستعمال لفظ أعجمي فيستعمله في الندرة وعلى سبيل الحضرة، كما فعل الأعمشى قديماً وأبو نواس حديثاً " (21)

ب. كيف نظر القدماء إلى صورة أبي نواس الشعرية ؟ :-

أبداع أبو نواس في تشبيهاته واستعاراته وصوره البديعية حتى أصبح شعره مورداً خصباً للشواهد البلاغية ولعلّ ابن رشيق لم يتجاوز الحقيقة عندما وصفه - مع المحدثين - بمُفتق البديع (22)، فكان أبو نواس مصوراً دقيقاً أبهر الناظر وأنطق المتحامل قبل المتضامن ويكفي أن نورد ما قيل: "قال أبو نواس :

وما الناس إلا هالكٌ وابن هالكٍ وذو نسيبٍ في الهالكين عريق
إذا امتحن الدنيا لبيدٌ تكشفت له عن عدوٍ في ثياب صديق

وكان المأمون يقول: لو قيل للدنيا: صفني نفسك، ما عدت هذا البيت (23)

وفي سياق حديث الحصري عن صفات مجالس الأُنس وذكر الخمر يمتدح أبا نواس بقوله : وهو أستاذ الناس في هذا الشأن " (24) ويستحسن الحصري تشبيهات أبي نواس.

" ومن جيد تشبيهات أبي نواس وقد نبّه نديماً للصبح فأخبره عن حاله وقال:

فقام والليل يجلوهُ الصباح كما
جلا التبسمُ عن عُر الثنّيات " (25)

ويأتي ابن رشيق ليضع خلاصة أقوال سابقه فنراه في باب التشبيه يقول: " سئل ابن منذر من أشعر الناس؛ فقال الذي يقول :-

يا قمرأ أبصرتُ في مآتم يندب شجواً بين أتراب
يبكي فيذري الدر من نرجسٍ ويلطم الورد بعناب

هذا أشعر الجن والإنس ، وقد جاء بالشعر على سجيته - أعني أبا نواس - وشاهد ذلك ظاهر في لفظه وإلا فهو قادر أن يجعل مكان الدر الطلّ حتى يتناسب الكلام ، لكنه لم يؤثر التصنيع ولا يراه فضيلة لما فيه من الكلفة " (26)

ومما يؤيد كلامي هذا شواهد علماء البلاغة - إن جاز تقسيمها هذا - بأشعار أبي نواس في أبواب التشبيه والاستعارة والكناية (27) ، وهذه الشواهد تبرهن استحسان هؤلاء العلماء لشعر أبي نواس في مجال الصورة " تشبيه ، استعارة "

ج. كيف نظر القدماء إلى هيكل قصيدته ؟ :-

وأقصد هنا، مقدمات وخواتم وطوال أعمال أبي نواس ، حيث استشهد العلماء بأشعاره في حديثهم عن المقدمات وحسن الافتتاح وعلّق هؤلاء على هذه الشواهد، وكانت الآراء ما بين

معارض لاذع ومؤيد منصف، وكان السبق حقاً لابن رشيقي القيرواني عندما أشار إلى تقدم أبي نواس "حدثته" في تلخيصه من المقدمات الطلّية حيث قال في باب المبدأ والخروج والنهاية: " وزعموا أنّ أوّل من فتح هذا الباب وفتح هذا المعنى أبو نواس بقوله :- لا تبك ليلي ولا تطرب إلى هند والشرب على الورد من حمراء كالورد وقوله وهو عند الحاتمي فيما روى عن بعض أشياخه أفضل ابتداء صنعه شاعر من القدماء والمحدثين:

صفة الطلّول بلاغة القدم فاجعل صفائك لابنة الكرم " (28)

وكما كان المدح لأبي نواس في افتتاحاته نال القدر، حيث أورد له العلماء شاهد أقبح ابتداء وهذا ما ذكره ابن منقذ (584هـ) في باب المبادئ والمطالع: " أنكروا على أبي نواس قوله: [في أول قصيدة مدح بها البرامكة]

أرْبَع الِيلَى، إِنَّ الخُضوعَ لِبَادِ

فلما انتهى إلى قوله :-

سلام على الدنيا إذا ما فُقدتم بني بَرْمَكٍ من رائجين وغاد

استحکم تطيرهم وقيل إنهم نكبوا بعد ذلك بأسبوع واحد " (29)

أما عن الخاتمة فقد عرض ابن مالك شاهداً شعرياً لأحسن المخالصة: " وقد قلت عناية المتقدمين بهذا النوع ومن أجاد فيه من المتأخرين أبي نواس في خاتمة مدح المأمون بقوله: فبقيت للعلم الذي تهدي له وتقاعست عن يومك الأيام

وفي خاتمة مدح الخصيب :-

وإني جدير إذ بلغتك بالمنى وأنت بما أمّلت منك جدير " (30)

وهكذا أكون قد أعطيت موجزاً عن موقف علماء القرن الخامس والسادس والسابع الهجري، من شعر أبي نواس ضمن جوانبه المختلفة حيث شاهدت هؤلاء لا يهتمون شاعريته فاستشهدوا به وعلقوا عليه بالتأييد أو بالماخذ، وسأختم هذا الفصل بحدِيث عن موضوعات أبي نواس الشعرية كي يتسنى لي الولوج إلى أقوال هؤلاء في شخص أبي نواس في مجال الخمر وصفات مجالسه، قال الحصري:

" وقال أبو نواس وهو أستاذ الناس في هذا الشأن " (31)

وهكذا قال ابن شهيد عند حديثه عن صاحب أبي نواس وإنشاده شعراً قال عنه : "فقلت: إن ذلك لأشد لتأنيسي على أنه ما بعدك لمحسن إحسان... ثم قال لي: أنشد؟ فقلت: وهل أبقيت للإنشاد موضعاً" (32) وهكذا قال المعري في رسائله: "أبو بكر بن دريد ذكر لأصحابه أنه رأى فيما يرى النائم أن قائلاً يقول: لم تقول في الخمر شيئاً، فقال وهل ترك أبو نواس مقالاً" (33) وقال عنه ابن الأثير: "وشهر أبو نواس في أول العصر العباسي في طردياته" (34) وقال عنه عبد الله بن الفضل بن الربيع: "ما مدحنا شاعر بشعر أحب إلينا من قول أبي نواس: ساد الملوك ثلاثة ما منهم إن حُصّلوا إلا أعز قريع" (35) وقال عنه البحري عندما وصفه مقدماً إياه عن مسلم: "بل أبو نواس لأنه يتصرف في كل طريق ويرع في كل مذهب" (36) ويكفي قول إسماعيل بن نُوبخت: "وشعره عشرة أنواع وهو مجيد في العشرة" (37).

هكذا وصف شعر أبي نواس حيث كان يُعلم للمتعلمين ويُحفظ لهم في الاختيارات الشعرية، وقال ميمون سألت أبا يوسف يعقوب ابن السكيت عما يختار لي روايته من الشعر فقال: إذا رويت من أشعار الجاهليين فلامرئ القيس والأعشى ومن الإسلاميين فلجربير والفرزدق ومن المحدثين فالأبي نواس فحسبك" (38)

فكان بحق كما قال عنه أبو تمام: أشعر الناس واسهبهم في الشعر كلاماً ، وكما وصفه الأصمعي بأنه أشعر أهل زمانه. (39)

الفصل الثاني : لماذا لم تنهأ معركة نقدية

حول

أبي نواس؟-

لفت اهتمامي عدم قيام معركة نقدية حول شعر أبي نواس⁴⁰ كتلك التي قامت حول أبي تمام والمنتبي مع كثرة شواهد الأدباء وأهل اللغة والنقد بشعره، ويزداد عجيبي عندما شاهدت قول أبي تمام: "أبو نواس ومسلم بن الوليد اللات والعزى وأنا أعبدهما" (41) وإشارة أخرى رويت عن إسماعيل بن نوحث حيث قوله: "وهو في الطبقة الأولى من المولدين وشعره عشرة أنواع، وهو مجيد في العشرة، وقد اعتنى بشعره جماعة من الفضلاء، منهم أبو بكر الصولي، وعلي بن حمزة، وإبراهيم بن أحمد بن محمد الطبري المعروف بتوزون" (42)

ولحمة ثالثة قالها زرياب بعدما نفاه السلطان إلى الأندلس ورحيله بعد ذلك إلى العراق: "وذلك بعد موت الحسن بن هانئ بمدّة يسيرة فوجدهم يلمحون بذكره ولا يساوون أحد بشعره" (43)

هذه الأقوال مع ما سبق من توصية أهل الشعر بحفظ شعره لمن أراد تعلم الشعر وصناعته وحكمهم له بأشعر الناس أو أول المولدين تثير العجب، فأرى نفسي أمام خيارين أحدهما:
أ. وجود معركة نقدية حول أبي نواس ولكنها لم تُدَوّن فكانت مشافهة في مجالس الشعر والأدب.
ب. هذه المعركة دُوّنت ولكن ما كُتِب فيها ضاع ولم يصل إلينا.
ولن أقبل الخيار الذي تحدث عنه أبو ريان أحد علماء البيان واللغة وشيوخها حيث فسّر انشغال عامة الناس بشعره حيث لم يهتم النقاد الحذاق به، وكيف ذاك والجاحظ أحد كبار وشيوخه يستشهد به ويقدمه، وهكذا مع أربعة وثلاثين عالماً وأديباً.
يقول أبو ريان في ذكر أبي نواس: "وأما أبو نواس فأول الناس في حرم القياس....والعوام تجار هذه الأعلاق وأسواقهم أوسع الأسواق فشعر أبي نواس نافق عند هذه الأجناس كاسد عند أنقد الناس" (44)

وإذا تجاوزت هذه النصوص وأسلمت بجدلية عدم وجود معركة نقدية حوله فهذا يعني إهمال أشعاره وعدم الاهتمام بما فيخلدها أحد النقاد أو الأدباء بكتابات مثل أقرانه- المنتبي وحبیب بن أوس "أبو تمام"- فهذا الأمر ليس بالجديد حيث أشار له ابن الأثير (637هـ) وجذب اهتمامه إهمال

أهل عصره وجهلهم بأشعاره حيث يقول: " وكنت سافرت إلى مصر سنة ست وتسعين وخمسائة ورأيت الناس منكبين على شعر أبي الطيب دون غيره، فسألت جماعة من أدبائها عن سبب ذلك وقلت : إن كان لأنَّ أبا الطيب دخل مصر فقد دخلها قبله من هو مُقدّم عليه وهو أبو نواس الحسن بن هانئ فلم يذكروا لي في ذلك شيئاً " (45)

فابن الأثير هنا أشار إلى إهمال الحسن من علماء الأدب وانشغالهم بالمتنبي ولكنه لم يُشَفِّ بجواب أحدهم، وعند تقليب كتب الأدب نجد إجابات شتى لسؤال ابن الأثير قديماً ولا تكاد الإجابات تحصر هذا التناقض في إجماع واحد، حيث نرى وقوف هؤلاء بين مؤيد ومعارض فالمؤيد يذهب كل مذهب في انصاف أبي نواس والمعارض يقدهم ألدَّع القده فيه، والأجدر بي هنا تصنيف هذه الآراء التي تعلل لنا عدم نشوب معركة نقدية مكتوبة.

أولاً: موقف أهل القديم:

تجمع كتب النقد على ظهور فئة من أهل الأدب تعارض الانشغال أو روائي أو الحديث عن شعر ما سموهم "المحدثين" أو "المولدين" فجعلوا الخروج عن سُنَّة القدماء مثلبة لا يعادها ذنب، وجعلوا السبق لشعراء الجاهلية أو تابع سنتهم المألوفة، فجاء أبو نواس وفجر هواهم وخرج عما ألفوه، فوقف منه هؤلاء موقف المعارض واللاذع والمقلل لشأنه حتى أنهم جعلوا شعره هذا ضعيفاً لا يستحق رواج سوقه وكان خير من وضع هذه المعضلة ابن شرف القيرواني: "أما أبو نواس فأول الناس في حرم القياس وذلك أنه ترك السيرة الأولى ونكب عن الطريقة المثلى وجعل الجد هزلاً والصعب سهلاً، فهلّل المشدّد وبلبل المنضد، وخلخل المنجد، وترك الدعائم وبنى على الطامي والعائم وصادف الأفهام قد كلّت وأسباب العربية قد تخلخلت وانحلت والفصاحات قد سئمت ومثّلت فمال الناس إلى ما عرفوه وعلقت نفوسهم بما ألفوه فتهاذوا شعره وأغلو سعره والعوام تجار هذه الأعلاق وأسواقهم أوسع الأسواق فشعر أبي نواس نافق على هذه الأجناس كاسد عند أنقد الناس، وقد فطن إلى استضعافه وخاف من استخفافه فاستدرك بفصيح طرده طرفاً جذ اللسان الأول وحدده وهو محدود في كثرة التظاهر على من غضّ منه بالحق الظاهر ليس إلاّ لخفة روح الجحون وسهولة الكلام الضعيف الملحون على جمهور العوام لا على خواص الأنام" (46)

ونرى كذلك صمت أهل النقد إزاء الحدي ث ومن ذلك ما قاله أبو عبيدة عندما سُئل: "أي الرجلين أشعر: أبو نواس أم ابن أبي عيينة؟ فقال: أنا لا أحكم بين الشعراء الأحياء، فقيل له: سبحان الله؟ كأن هذا ما تبين لك، فقال: أنا ممن لم يتبين له هذا" (47)

وهناك من استحسنه ولكنه جعل الجاهلية مثلته ومن هؤلاء العتابي عندما تناظر مع رجل في شعر أبي نواس: لو أدرك الخبيث الجاهلية ما فضل عليه أحد" (48) وكان هؤلاء العلماء يستحسنون شعره عند سماعه وهم لا يعلمون قائله، ويدلنا هذا على إعراضهم عن تناول شعره أو روايته فكانوا يجهلون فلم يتذوقوه ويقبلوا على قده أبي نواس لشخصه فقط، ومن ذلك ما رواه أبو هفان وهو أحد شيوخ اللغة ورواة أخبارها عن الأعرابي "محمد بن زياد": كان يطعن على أبي نواس ويعيب شعره، ويضعفه ويسليته، فجمعه مع بعض رواة شعر أبي نواس فجلس والشيخ لا يعرفه فقال له صاحب أبو نواس: أتعرف - أعزك الله - أحسن من هذا؟ وأنشده:-

"ضعيفة كز الطررق... " الأبيات

فقال: " لا والله فلمن هو؟ قال للذي يقول:-

رسم الكرى بين الجفون مُخيلٌ البيت

فطرب الشيخ وقال: ويحك! لمن هذا؟ فوالله ما سمعت أجود منه لتقديم ولا لمحدث! فقال: لا أخبرك أو تكتبه، فكتبه وكتب الأول، فقال: للذي يقول:

ركبٌ تساقوا على الأكوار بينهم البيت

فقال: لمن هذا؟ وكتبه، فقال: للذي تدمه وتعيب شعره، أبي علي الحكمي، قال: اكنتم عليّ، فوالله لا أعود لذلك أبداً" (49)

فكان هؤلاء الترابيون على نوعين :-

أ. قسم لم يقرأ البتة لأبي نواس أو لم يحدث فكانوا على جهل بأشعاره كلها، وهؤلاء لم يلبثوا أن يتراجعوا عن تثليثهم لأبي نواس في أول لحظة إطلاع على شعره في معزل عن اسمه وهذا ما فعله الأعرابي، أو تأخذهم العزة بالإثم ويتراجعون عند معرفة اسمه وهذا ما فعله ابن منذر : " قصة مسعود بن بشر عندما لقي ابن منذر في مكة وكان عالماً بالشعر زاهداً في الدنيا، فأنشد له شعراً لأبي نواس : ذكرتم من الترحال أمراً فغمنا فلو قد فعلتم صبح الموت بعضنا حتى قوله:

قلائص لم تحمل حبيباً على طلا ولم تدر ما فرع العتيق ولا الهنا

فقال ابن منذر: " أحسن والله صاحبك في التشبيب وأغرب علينا في صفة النعال وتصويره إياها مطايا من هذا؟ قلت: أبو نواس، قال: لعن الله أبا نواس وندم على ما مدح من شعره" (50)

ب. قسم قرأ شعره واستحسنه ولكنه فرق بين المحدث والقديم وبعته بأحسن مُحدث، وأشعر مُولد، مع تشبيهه بامرئ القيس وهذا كثير في ثنايا كتب اللغة والنقد.

ذكر ابن رشيق في باب شعراء رفعهم شعرهم: "ومن المحدثين أبو نواس كان نديماً للأمين محمد بن زبيدة طول خلافته" (51) "وليس في المولدين أشهر اسماً من أبي نواس" (52)

وهذه الفئة جعلت فضله هذا في إتباعه للقديم وتشبهه بهم مماثلاً إياهم، فيقول ابن رشيق: "لم يكن أبو نواس يرضى أن يتعلق بمن دون امرئ القيس وأصحابه" (53)

وينسب كذلك عمرو الوراق قولاً لأبي نواس: "سمعت أبا نواس ينشد قصيدته:

أيها المنتابُ عن عُفْرِه لست من ليلى ولا سمره
فحسدته عليها فلما بلغ إلى قوله :

وإذا مخ القنا علقاً البيت

فقلت له ما تركت للنابعة شيئاً حيث يقول :

إذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم عصائب طير تهتدي بعصائب
فقال: اسكت، فلئن أحسن الاختراع، لما أسأت الاتباع" (54)

وكان من هؤلاء من اعترف بجودة شعره وروايته له بل وتوصيته بروايته لمتعلمي الشعر

وؤاذه، يقول أبو عبيدة: ما حفظت شعراً لمحدث إلا قول أبي نواس :

كأن ثيابه أطلع ن من أزراره قمراً" (55)

وقال ميمون: "سألت ابن السكيت عما يختار لي روايته من الشعر فقال إذا رويت من أشعار الجاهليين فلا مرئ القيس والأعشى ومن الإسلاميين فلجرير والفرزدق ومن المحدثين فلا بئ نواس فحسبك" (56)

ثانياً: رفضه لزندقته :-

وكما اصطدم شعر أبي نواس بأهل القدم ، اتهم كذلك بزندقته، فكانت مانعاً من تداول شعره، والزندقة ملم عرف في العهد العباسي حيث أخفى المولدين وخاصة- أهل فارس- كفرهم خوف القتل وكانت من المذاهب التي شدد عليها خلفاء بني العباس ولاحقوا أهلها، والدارس لديوان أبي نواس مجاهرته بالفسق والكفر ومخالفة آراء الأنبياء، ولا أظن حذاق الشعر أغفلوا هذه ولم يتنبهوا لها فكانت أحد أسباب عزوف النقاد عن شعره وجعله حلقة نقد وجدل. وأول من ألصق هذه الصفة بأبي نواس ما روي عن الربيعي: قال: دخل الحسن بن هانئ فيما حدثني على [أمير المؤمنين] فقال: يا حسن بن هانئ! قلت: نعم يا أمير المؤمنين، قال: إنك زنديق، فقلت يا أمير المؤمنين وأنا أقول مثل هذا الشعر :-

أصلي صلاة الخمس في حين وقتها وأشهد بالتوحيد لله خاضعاً
واجعل تخليط الروافض كلهم لفحة بختيشوع في النار طابعاً
فقال لي: كيف وقعت على فحة بختيشوع ويلك؟ قلت بما تمت القافية، فضحك وأمر لي بجائزة وانصرفت" (57)

وكانت هذه الصفة من مدام من لازم أبي نواس حيث ذمّ المأمون أخاه الأمين على المنابر وذكر في مدامه أنه صحب شاعراً من أمره أن يجاهر بالمعاصي" (58) ووصفه الثعالبي بإمام الباطل (59)

وتنبه للزندقة المعري وتحدث عن أبي نواس في " الغفران " وذكر صاحب كتاب الورقة جماعةً من الشعراء في طبقة أبي نواس ومن قبله ووصفهم بالزندقة، وسرائر الناس مغيبة وإنما يعلم بها علام الغيوب وكانت تلك الحال تُكتم في ذلك الزمان خوفاً من السيف فالآن ظهر بَحْيُثُ القوم وانقضت التريكة عن أخبث رألٍ" (60)

ثالثاً: خلاعته ومجاهرته بفسقه وخمره :-

كان أبو نواس ابن عصره حيث صور هذا العصر على حقيقته وإن بالغ في وصفه، ولكنه تمادى في ذلك فجاهر بمظاهر فسقه ومجونه وتشبيهه فكانت هذه من أقوى الأسباب التي جعلت أهل

اللغة والأدب يجتنبون شعره والحديث عنه، وقد أشار لذلك العديد منهم مجرد إشارة بينما جعل غير هؤلاء هذا الجون سبباً من أسباب ضعف أشعار أبي نواس وتركه.

يقول العميدي في حديثه عن أبي نواس: "أبو نواس اسمه الحسن بن هانئ نشأ أولاً بالبصرة ثم تحول إلى الكوفة وبرع في الشعر حتى بزّ أهل عصره، وأجاد في وصف الخمر وكان ماجناً خليعاً (61) وقال ابن حزم في تشييب أبي نواس: "ويحكى عن الحسن بن هانئ أنه كان مغرماً بحب محمد بن هارون المعروف بابن زبيدة، وأحس منه ببعض ذلك فانتهره على إدامة النظر إليه، فذكر عنه أنه كان لا يقدر أن يديم النظر إليه إلا مع غلبة السكر على محمد وربما كان سبب الكتمان ألا ينظر المحبوب أو ينفر به، فيني أدري من كان محبوبه له سكناً وجليساً لو باح بأقل سبب من أنه يهواه لكان منه مناط الثريا" (62)

وقال ابن رشيق معللاً في حديثه عن قصيدة أبي نواس: ألا سقني خمراً وقل لي: هي الخمر ،" ولا أراه أراد إلاّ الخلاعة والعبث الذي بنى عليه القصيدة ودليل ذلك أنه قال تمام البيت: ولا تسقني سراً إذا أمكن الجهر . فذهب إلى المجاهرة وقلة المبالاة بالناس والمداراة لهم في شرب الخمر بعينها التي لا خلاف بين المسلمين فيها وقد ثبت أن المأمون ذمّ أخاه الأمين على المنابر وذكر في مدامه أنه صحب شاعراً من أمره ومن قصته أن يجاهر بالمعاصي" (63)

ونرى عبد القاهر الجرجاني يصفه في باب القياس في التشبيه بالخلاعة (64) ويصرح السرقسطي "الاشتركيوي" جهاراً وحسب نظرته بسبب ضعف أبي نواس وعدم شيوع كلامه، حيث يقول: "قلت فالحكيمي أبو نواس، قال: شغل بالمجون والأكواس أثر المجون والأقداح فقصر الأوصاف والأمداح، خلع على الخمر إحسانه، ووقف عليها لسانه، وإلا فشأنه التبريز وكلامه الإبريز" (65) وهكذا قال الجاحظ وأبو عبيدة، فقال الجاحظ: "أبو نواس هذا عمل الشيطان ألقى أكثر الكلام ليفسر فوقكم فلم يزل في أطيب موضع :

أية نار قدح القادح وأي جد بلغ المازح
لله در ال شيب من واعظ وناصر لو قبل الناصح" (66)

ويتحدث أبو عمرو الشيباني بصراحة أكثر: "لولا أن أبا نواس أفسد شعره بهذه الأقدار لاحتججنا به في كتبنا" (67)

ولا يكاد حازم القرطاجني يجهل هذه الألفاظ التي عبّر عنها غيره بالأقدار وبالمفاسد وبالمجون وبالفسق، وكان له رأي فيها حيث قال: "ومن ذلك شيوع استعمال العبارات الساقطة والألفاظ

الحسيصة ككثير من ألفاظ الشطّار والمتماجنين وأهل المهن والعوام... وهذا موجود في مجون أبي نواس كثيراً" (68)

رابعاً: شعوبيته: -

كان أبو نواس كثير الاعتزاز بأصله الفارسي حيث عبّر عن ذلك صراحة في شعره حيث رفضه لبداية القدماء فأخذ بذكر مثالب العرب وهذا كثير في ديوانه، أو ضمناً وذلك في سياق حديثه عن قصور ومدائن ومدائح الفرس وفي مقابل ذلك، خيام الأعراب وجهلهم وخشونة عيشهم، وقد تنبه الأدباء إلى ذلك وخير من عبّر في ذلك ابن رشيق عند حديثه عن المبدأ والخروج والنهاية حيث أورد شاهد أبي نواس في خروجه عن مذهب سابقه :

لا تبك ليلي ولا تطرب إلى هند

فيقول: " فجاهر بأن وصفه الأطلال والقفر إنما هو من خشية الإمام وإلا فهو عنده فراغ وجهل وكان شعوبي اللسان فما أدري ما وراء ذلك، وإن في اللسان وكثرة ولوعه بالشيء شاهداً عدلاً لا ترد شهادته " (69)

والمجال هنا ليس مجال ذكر الشعوبية وشواهدها في شعر أبي نواس وإنما الهدف إبراز الشعوبية

كعامل وراء زُهد النقاد والأدباء بأبي

وبعد فقد انقسم العلماء حول أبي نواسو مثل ذلك في إشارة المعري الذي جعله ابن عصره في إشارة منه إلى التكوين البيئي لأبي نواس فأبو نواس ابن الدولة العباسية في مجونها وترفها ولن يَمُرَّ عن ذلك دون التأثير به، فهو ابن عصره وشاهد عيانه: "وقد اختلف في أبي نواس ادّعي له التآله وأنه كان يقضي صلوات نهاره في ليله، والصحيح أنه كان على مذهب غيره من أهل زمانه " (70)

وهناك من أعدّ عدّة الدفاع وكانوا على تفاوت في أساليبهم الدفاعية، منهم من وصف المنقّصين لأبي نواس بالجهل في مضارب وطرائق الشعر واستشهد بما قاله كبار الشعراء، ومن ذلك ما أورده الباقلائي:

"وذكر الحسن بن عبد الله أنه أخبره بعض الكتاب عن علي بن العباس قال: حضرت مع البحري مجلس عبيد الله بن عبد الله طاهر: وقد سألت البحري عن أبي نواس ومسلم بن الوليد أيهما أشعر؟ فقال البحري: أبو نواس أشعر، فقال عبيد الله: إن أبا العباس ثعلباً لا يطابقك على قولك ويفضل مسلماً فقال البحري: ليس هذا من عمل ثعلب وذويه من المتعاطين لعلم الشعر دون عمله، إنما يعلم

ذلك من وقع في سلك الشعر إلى مضايقه وانتهى إلى ضروراته فقال عبید الله: وريت بك أنادي يا أبا عبادة" (71)

وفئة أخرى جعلت من الظلم الحكم على أبي نواس من طريق مقارنته بأجيال سابقه فيجب مقارنته مع أبناء عصره وجيله، حيث أبدع أبو نواس بوصف عصره وباستعمال عناصر واقعه، فلكل عصر بيئته ومقوماته.

يقول الباقلاني: "ثم نقول: أنت تعلم أن من يقول بتقدم البحري في الصنعة به من الشغل في تفضيله على ابن الرومي أو تسوية ما بينهما ما لا يطمع معه في تقديمه على امرئ القيس ومن في طبقته... وكذلك أبو نواس إنما يعدل شعره بشعر أشكاله ويقابل كلامه بكلام أضرابه من أهل عصره، وإنما يقع بينهم التباين اليسير والتفاوت القليل" (72)

فاستعمل أبو نواس عباراته ولغته وأوصافه من عصره وفي هذا دحض لمن وصف أبا نواس بالخلاعة والمجون، فكانت لغته وأشعاره غاية في الدقة والشرف فيما وضعت له ومن هنا تقوم وتشتشعر، وهكذا يجب أن تكون المقارنة والمفاضلة، وإلى هذا الأمر تنبه الأدباء المنصفون: يقول الباقلاني: "والشيء إذا صدر من أهله وبدا من أصله وانتسب إلى ذويه سلم في نفسه وبانت فخامته وشواهد أثر الاستحقاق فيه وإذا صدر من متكلف وبدا من متصنع بان أثر الغرابة عليه وظهرت مخايل الاستيحاش فيه وعرف شمائل التخيير منه، إنا نعرف في شعر أبي نواس أثر الشطارة وتمكن البطالة وموقع كلامه في وصف ما هو بسبيله من أمر المغازلة، ووصف الخمر، والخمار... وإنما ذكرت لك هذه الأمور لتعلم أن الشيء في معدنه أعز وفي مظانه أحسن، وإلى أصله أنزع وبأسبابه أليق، وهو يدل على ما صدر منه وينبه ما أنتج عنه، ويكون قراره ولكل كلام سبيل ومنهج" (73) فلكل عصر لغته وصوره وفي ذلك يقول ابن رشيق كلاماً لابن وكيع عند تفضيله أشعار المولدين لمطابقتها العصر "وقال الحسن بن علي بن وكيع وقد ذكر أشعار المولدين: "إنما تروى لعذوبة ألفاظها ورقتها... ولو سلك المتأخرون مسلك المتقدمين في غلبة الغريب على أشعارهم... ما رويت لأن المتقدمين أولى بهذه المعاني" (74)، وبذلك تكون ألفاظ أبي نواس الماجنة لائقة بما وضعت له ولا تؤخذ مثابة عظمى عليه "ومن ذلك شيوع استعمال العبارات الساقطة والألفاظ الحسياسة ككثير من ألفاظ الشطار المتماجنين وأهل المهن والعوام والنساء والصبيان على الوجه الذي تقبل به الطريقة ذلك، وربما أوردوا ذلك على سبيل الحكاية وهذا موجود في مجون أبي نواس كثيراً وغير منقود عليه ذلك لأنه لائق بالموضع الذي أورده فيه من أشعاره التي يقصد بها الهزل" (75)

وكانت فئة العلماء الذين ينظرون للعمل الإبداعي دون صاحبه ومن ثمَّ إصدار الحكم عليه كونه عملاً مستقلاً بمعزل عن مذهب صاحبه أو دينه هي الفئة الأرجح والأقوى، لذلك جاءت شواهد أعمالهم ومصطلحاتهم متضمنة لأشعار أبي نواس، وهذا على سبيل الإنصاف وفي ذلك يقول ابن رشيقي ما أورده الحاتمي في باب المديح: "روى الحاتمي عن محمد بن عبد الواحد قال: سمعت ابن الأعرابي يقول: أمدح بيت قاله مولد قول أبي نواس:

نفطَيْتُ من دهري بظلِ جناحه فعيني ترى دهري وليس يراني

قال صاحب الكتاب: "نحن إلى الإنصاف أحوج منا إلى المكابرة والخلاف، أبو نواس ذهب مذهباً لطيفاً يُخَرِّج له فيه العذر والتأويل" (76)

الخاتمة

جاءت هذه الدراسة محاولة جادة في السير على طريق الاتصال بكتب التراث مباشرة والتزود بالزاد الذي تحتاجه واختيار ظواهر لم ينتبه إليها الدارسون أو لم يكملوا الحديث الجاد فيها، فكانت ظاهرة إهمال أبي نواس وعدم قيام حركة نقدية حوله إحداهما، فكان لهذه الظاهرة أثر جم في نفسي إذ جعلتني أعيد النظر في كتب القدماء والبحث فيها، وبدأت في البحث الدقيق في ثنايا أمهات الكتب واستخراج ما كتب عن أبي نواس عند أعلام القرن الخامس والسادس والسابع الهجري، وإن كان شاهداً، وقد توصلت الدراسة إلى نتائج هي :

- ١ أبو نواس شاعر عباسي استطاع أن يهتم بتكوينه الثقافي و قد أبدع في ذلك.
- ٢ لم يكن أبو نواس التجديدي الأول ، وإنما سبق برواد كمسلم بن الوليد وأبي تمام وابن المعتز.
- ٣ لم يهمل أبي نواس في كتب هؤلاء. بدليل عدم خلو أي كتاب أدبي أو نقدي أو لغوي من أشعاره شاهدة على باب أو قضية أو فصل.
- ٤ وقف العلماء من أبي نواس موقف الحائر، فهناك من أعد عدة المثالب. وانهال على أبي نواس ليبرز ضعفه ونقصه وهناك من حاول الدفاع عنه ونفي التهم عنه حتى ظهر أبو نواس تارة مجدداً و أخرى تقليدياً.
- ٥ حلت هذه الشواهد الى عوامل شتى ساهمت في تجاهل أبي نواس وعدم الاهتمام بإقامة معركة نقدية حوله و هذه العوامل:
 - أ -زندقته التي اهتم بهاو بواحه بالكفر و المعاصي
 - ب شعوبيته الصارخة التي ما برح من السخرية بالعرب والتقليل من شأنهم إذ قارنهم بالحضارة التي كان يلامسها.
 - ت ألفاظه الماجنة وبواحه بالفسق إذ أكثر من حديثه عن الخمر وما يتعلق به وغزله بالغلما ن.
 - ث نصره القديم والتعصب له وإسقاط ما خالفه
 - ج الغلاة في تشبيهاته واستعاراته والتي أوقعته ضحية للكذب الغني.
 - ح ظهر أبو نواس بمظهر مغاير لما كان يؤمن به.
 - خ و أخيراً يبقى عمل أبي نواس الشعري عملاً إبداعياً نظر إليه العلماء وفضلوه واستشهدوا به، ويبقى أبو نواس شاعراً للهو والمجون فاز بآراء النقاد قديماً وحديثاً واقتصر اسمهم على مؤلفاتهم في جوانب كثيرة مثل: أبو نواس شاعر الخمرة وأبو نواس شاعر التجديد وشاعر التخطي والالتزام.ملحق بقائمة علماء القرن الخامس والسادس والسابع الذين استشهدوا بأبي نواس مدحاً وقدحاً وشاهداً

ت 403هـ	١ . الباقلاني
421هـ	٢ . المرزوقي
426هـ	٣ . ابن شهيد
429هـ	٤ . الثعالبي
433هـ	٥ . العميدي
449هـ	٦ . المعري
453هـ	٧ . الحصري
455هـ	٨ . ابن فورجة
460هـ	٩ . ابن شرف القيرواني
463هـ	١٠ . ابن حزم
463هـ	١١ . ابن رشيق القيرواني
463هـ	١٢ . الخطيب البغدادي
466هـ	١٣ . ابن سنان الخفاجي
471هـ	١٤ . عبد القاهر الجرجاني
القرن الخامس الهجري	١٥ . النهشلي
538هـ	١٦ . الاشتراكي "السرقسطي"
538هـ	١٧ . الزمخشري
571هـ	١٨ . ابن عساكر
577هـ	١٩ . الأنباري
584هـ	٢٠ . ابن منقذ
606هـ	٢١ . الرازي
626هـ	٢٢ . السكاكي
629هـ	٢٣ . الشقندي
633هـ	٢٤ . ابن دحية
637هـ	٢٥ . ابن الأثير
651هـ	٢٦ . الزملكاني
654هـ	٢٧ . ابن أبي الإصبع

655هـ	ابن أبي الحديد	.٢٨
656هـ	المظفر بن الفضل	.٢٩
679هـ	الجراني	.٣٠
681هـ	ابن خلكان	.٣١
684هـ	حازم القرطاجني	.٣٢
686هـ	بدر الدين بن مالك	.٣٣

الهوامش :

١. انظر: أبو نواس وقضية الحداثة في الشعر - العربي درويش
٢. انظر: أبو نواس في تاريخه وشعره و مبالغة وعبثه ومجونته- ابن منظور المصري
٣. انظر: حديث الأربعاء طه حسين ج 2
٤. انظر: أبو نواس دراسة في التحليل النفسي والنقد التاريخي عباس العقاد وأبو نواس الحسن بن هاني - عباس العقاد
٥. انظر مثلا : أبو نواس بين التخطي والالتزام - علي شلق و الشعراء المحدثون في العصر العباسي العربي درويش وحركة الشعر العباسي في مجال التجديد- حسين خريس
٦. ديوان أبي نواس: تحقيق أحمد الغزالي، ص11
٧. ابن منظور: أبو نواس في تاريخه وشعره ، ص50
٨. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ص4، ص190
٩. للاستزادة انظر: القصيدة العباسية قضايا و اتجاهات عبد الله التطاوي ط2 ص 97-121 و حركة الشعر العباسي في مجال التجديد - حسين خريس ص15-31 و في الشعر العباسي نحو منهج جديد- يوسف خليف ص9-32 و العصر العباسي الأول - شوقي صيف ص159-201
١٠. للاستزادة انظر : القصيدة العباسية قضايا و اتجاهات ص 97
١١. ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق، ص257-284، ج4، ط2، 1979
١٢. الأتباري: نزهة الألباء، ص96-103
١٣. المصدر نفسه، ص98
١٤. الحصري: زهر الآداب ، ص163، ط1
١٥. انظر: الوساطة بين المتنبي و خصومه القاضي الجرجاني ص 62-64
١٦. المصدر السابق ص 428
١٧. الأتباري: نزهة الألباء، ص96
١٨. ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، ص1952، 189، وانظر كذلك منهاج البلاغ لحازم القرطاجني، ص1966، 192م
١٩. نزهة الألباء، ص98
٢٠. ابن رشيق القيرواني: العمدة ، ص262، 1988م
٢١. المصدر السابق ، ص257

٢٢. المصدر نفسه، ص 262
٢٣. زهر الآداب، ص 56، ط 1
٢٤. المصدر السابق، ص 459
٢٥. المصدر نفسه، ص 230
٢٦. العمدة، ص 499
٢٧. انظر كتب البلاغة مثل: العمدة، المثل السائر، تحرير التحبير، البديع في البديع، مفتاح

العلوم

٢٨. العمدة، ص 406-407، وانظر المصباح، ص 125، والجامع الكبير، 180
٢٩. أسامة بن منقذ: البديع في البديع، ص 400، وانظر الجامع الكبير لابن الأثير، ص 188
٣٠. المصباح، ص 127
٣١. زهر الآداب، ص 459
٣٢. ابن شهيد: رسالة التوابع والزوابع، ص 147
٣٣. رسائل المعري: تحقيق عبد الكريم خليفة، ص 370-371، ط 2
٣٤. ابن الأثير: الوشي المرقوم، ص 14
٣٥. زهر الآداب، ص 541
٣٦. العمدة، ص 734
٣٧. وفيات الأعيان، ص 194
٣٨. نزهة الألباء، ص 96-103
٣٩. انظر تهذيب تاريخ دمشق، ص 257-284
٤٠. يكمن الإشارة إلى حديث الدكتور محمد مندور إذ طرح سؤالاً حول عدم قيام خصومه حول مذهب أبي نواس و كان حديثه مقتضبا جدا و خرج به إلى مفهوم الفن و إلى شعوبية أبي نواس: النقد المنهجي عند العرب ص 76-79
٤١. ابن منظور: أبو نواس في تاريخه، ص 49، وكذلك انظر الأغاني للأصفهاني
٤٢. وفيات الأعيان، ص 194
٤٣. المطرب من أشعار أهل المغرب، ص 148
٤٤. ابن شرف القيرواني: أعلام الكلام، ص 23
٤٥. ابن الأثير: الوشي المرقوم، ص 57
٤٦. المصدر نفسه، ص 22-23
٤٧. العمدة، ص 173، وانظر النهشلي: الممتع في صنعة الشعر، ص 200

- ٤٨ . تاريخ بغداد، ص 436-446
- ٤٩ . زهر الآداب، ص 241
- ٥٠ . نزهة الألباء، ص 262
- ٥١ . العمدة، ص 117
- ٥٢ . المصدر السابق، ص 212
- ٥٣ . المصدر نفسه، ص 520
- ٥٤ . زهر الآداب، ص 998
- ٥٥ . العمدة، ص 761
- ٥٦ . نزهة الألباء، ص 98
- ٥٧ . تاريخ بغداد ، ص 440
- ٥٨ . انظر العمدة، ص 718
- ٥٩ . انظر لطائف اللطف للثعالبي، ص 123، و ص 220
- ٦٠ . المعري: الغفران، ص 295
- ٦١ . العميدي: الإبانة عن سرقات المتنبي، ص 21-22
- ٦٢ . ابن حزم: طوق الحمامة، ص 38
- ٦٣ . العمدة، ص 718
- ٦٤ . انظر عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص 203
- ٦٥ . المقامات اللزوية، ص 375
- ٦٦ . تهذيب تاريخ دمشق، ص 277
- ٦٧ . المصدر السابق، ص 257
- ٦٨ . منهاج البلغاء، ص 331
- ٦٩ . العمدة، ص 406-407
- ٧٠ . الغفران، ص 287
- ٧١ . إعجاز القرآن: الباقلاني، ص 105-106، وكذلك الديانة للعميدي، ص 224،
والعمدة، ص 734، ودلائل الإعجاز، ص 179
- ٧٢ . إعجاز القرآن، ص 255
- ٧٣ . المصدر السابق، ص 305-307
- ٧٤ . العمدة ، ص 200
- ٧٥ . منهاج البلغاء، ص 331
- ٧٦ . العمدة، ص 792

قائمة المصادر والمراجع

أ. القديمة:-

١. ابن أبي الحديد: الفلك الدائر على المثل السائر، ملحق بالجزء الرابع في المثل السائر، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر.
٢. ابن أبي الأصبغ: بديع القرآن، تحقيق: حنفي محمد شرف، مكتبة نهضة مصر، ط1، 1957
٣. _____: تحرير التعبير في صناعة الشعر، تحقيق حنفي محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1383هـ
٤. ابن الأثير: المثل السائر، ت أحمد الحوفي وبدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر
٥. _____: الوشي المرقوم في حل المنظوم، ت جميل سعيد، مطبعة المجمع العراقي، 1989
٦. _____: الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام المنثور، ت مصطفى جواد و جميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1956
٧. اشتركيوي "محمد بن عبد الله السرقسطي": المقامات اللزومية، ت بدر أحمد ضيف، الهيئة المصرية للكتاب، 1982
٨. الأنباري "أبو البركات عبد الرحمن": زهة الألباء في طبقات الأدباء، ت إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، ط3، 1985
٩. الباقلائي: إعجاز القرآن، شرح وتعليق عبد المنعم خفاجي، دار الجليل، بيروت، ط1، 1991
١٠. البحراني: أصول البلاغة، ت عبد القادر حسين، دار الثقافة، قطر، ط1، 1986
١١. الثعالبي: لطائف اللطف، ت عمر الأسعد، دار المسيرة، بيروت، ط1، 1980
١٢. _____: يتيمة الدهر، عني بنشره عباس إقبال، طهران، 1353هـ
١٣. -: الإعجاز والإيجاز، منشورات المكتب العالمي، بيروت، 1992
١٤. -: سحر البلاغة وسر البراعة، وقف على طبعه أحمد عبيد، المكتبة العربية في دمشق، ط1
١٥. حازم القرطاجني: منهاج البغاء وسراج الأدباء، ت محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، 1966
١٦. ابن حزم: طوق الحمامة في الألفة والألاف، ت حسن كامل الصيرفي، دار الفكر
١٧. -: رسائل ابن حزم، ت إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1983

- ١٨ . الحصري: زهر الآداب وثمر الألباب، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1953
- ١٩ . الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1931
- ٢٠ . ابن خلكان: وفيات الأعيان، مطبعة عيسى الحلبي، مصر، ج4
- ٢١ . ابن دحية: المطرب من أشعار أهل المغرب، ت إبراهيم الأنباري وحامد عبد المجيد وأحمد بدوي، المطبعة الأميرية بالقاهرة، 1954
- ٢٢ . الرازي: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ت إبراهيم السامرائي ومحمد أبو علي، دار الفكر، عمان، 1985
- ٢٣ . ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر، ت محمد قرقران، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1988
- ٢٤ . الزمخشري: الكشف، دار المعرفة، بيروت، 1970
- ٢٥ . الزملكاني: التبيان في علم البيان، ت أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ط1، 1964
- ٢٦ . السكاكي: مفتاح العلوم، قسم3، طبع مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1973
- ٢٧ . ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، صححه وعلق عليه: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، 1952
- ٢٨ . ابن شرف القيرواني: أعلام الكلام، مطبعة الخانجي، ط1، 1926
- ٢٩ . الشقندي: فضائل الأندلس وأهلها، الشقندي وابن حزم، نشرها صلاح الدين المنجد، ط1، 1968
- ٣٠ . ابن شهيد: رسالة التوابع والزوابع، ت بطرس البستاني، مكتبة صادر، بيروت، 1951
- ٣١ . عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ت السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، 1978
- ٣٢ . -: دلائل الإعجاز، ت السيد محمد رشيد رضا، مكتبة القاهرة، 1961
- ٣٣ . ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق الكبير، هذبه ورتبه عبد القادر بدران، دار المسيرة، بيروت، ط2، 1979
- ٣٤ . علي بن عبد العزيز " القاضي الجرجاني " الوساطة بين المتنبي و خصومه تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم و علي محمد البجاوي المكتبة العصرية - بيروت
- ٣٥ . العميدي: الإبانة عن سرقات المتنبي، ت إبراهيم الدسوقي البساطي، دار المعارف

بمصر، 1961

- . ٣٦ ابن فورجة: الفتح على أبي الفتح، ت عبد الكريم الدجيلي، دار الحرية ، بغداد
- . ٣٧ ابن مالك "بدر الدين": المصباح في علم المعاني والبيان والبديع، المطبعة الخيرية، ط1،
1341هـ
- . ٣٨ المرزوقي: شرح ديوان الحمامة، نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون، ط1، 1951
- . ٣٩ المظفر بن الفضل: نضرة الاغريض في نصرة القريض، ت نهي عارف الحسن، دمشق،
1976
- . ٤٠ المعري: رسائل المعري: شرح وتعليق عبد الكريم خليفة، منشورات اللجنة الأردنية للتعريب
والترجمة، 1976
- . ٤١ -: الغفران، دار صادر بيروت، 1964
- . ٤٢ ابن منقذ "أسامة": البديع في البديع، حققه عبد.آ. علي مهنا، دار الكتب
العلمية، بيروت، ط1، 1987
- . ٤٣ النهشلي: الممتع في صنعة الشعر، ت محمد زغلول سلام، منشأة المعارف بالإسكندرية
- . ٤٤ أبو نواس :ديوان أبي نواس، أحمد الغزالي، القاهرة، 1953

ب. المصادر الحديثة :

١. حسين خريس : حركة الشعر العباسي في مجال التجديد دار البشير الأردن ط 1994
٢. شوقي ضيف: العصر العباسي الأول- دار المعارف- مصر ط 8
٣. طه حسين - حديث الأربعاء- دار المعارف- مصر 1964
٤. عباس محمود العقاد- دراسة في التحليل النفساني و النقد التاريخي
٥. - أبو نواس الحسن بن هانئ- نمضة مصر-القاهرة
٦. عبد الله التطاوي - القصيدة العباسية قضايا و اتجاهات- مكتبة غريب مصر ط 2
٧. العربي درويش: الشعراء المحدثون في العصر العباسي- الهيئة المصرية العامة للكتاب 1989
٨. - أبو نواس و قضية الحداثة في الشعر- الهيئة المصرية العامة للكتاب 1987
٩. علي شلق- أبو نواس بين التخطي و الالتزام- المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر - بيروت 1962
١٠. ابن منظور: أبو نواس في تاريخه و شعره و مبادئه و عتبه و مجونه تقديم عمر أبو النصر- دار الجليل - بيروت
١١. يوسف خليف: في الشعر العباسي نحو منهج جديد- مكتبة غريب - مصر